دور السياحة الإستشفائية في إنعاش السياحة الصحراوية
-تحقيق ميداني حول واقع واستراتيجيات طريقة العلاج بالرمال الحارة في ولاية بسكرة-

أ د/ زمـام نور الدين
جامعة محمد خيضر بسكرة

أ/ بن رحمون سهـام
جامعة محمد خيضر بسكرة

ملخص:

تتناول هذه المداخلة دور السياحة الإستشفائية في إنعاش السياحة الصحراوية، وذلك من خلال تحقيق ميداني أجري بمدينة بسكرة في شهر جانفي 2012 بعد حظر أحد أهم الطرق العلاجية التي اشتهرت في هذه المنطقة منذ ما يقرب من عقد ونصف عقد.

ونعني بذلك طريقة العلاج بالرمل، ويحاول التحقيق تن اول آثار منع هذا النشاط على النشاط السياحي في مدينة، بسكرة، ومعرفة موقف المسؤولين من الدعوات التي تريد إعادة إحياء هذه الطريقة، وما السبل الكفيلة،حسب رأيهم لتجنب الأسباب التي أدت إلى توقيفه، وما هي متطلبات إحياء هذا النوع من السياحة في بسكرة.

مقدمـــة:

يعد المجال السياحي أحد المصادر الهامة للدخل الوطني للكثير من البلدان، فعلى سبيل المثل فإن حصيلة البلدان العربية من " الإيرادات السياحة في العام الماضي بلغت نحو 476 مليار دولار أمريكي، أي ما يعادل 80% من حجم الاقتصاد العربي [1]"، مما حدا بالكثير من الدول التي تمتلك بعض مقومات هذه الصناعة إلى توظيف رساميل معتبرة فيها، وتبني مخططات وتدابير عمرانية ومعمارية وثقافية متنوعة لتجويد منتوجها السياحي، وتحسين خدماتها، وتنويع أنماطه.

وتعبر السياحة الصحراوية في الجزائر أحد أنواع هذه الصناعة التي بإمكانها أن توفر مداخيل كبيرة، واستقطاب بعض الشرائح السياحية الخاصة، ويجدر التذكير بأن السياحة الصحراوية تتنوع مجالاتها، وتتعدد مجالاتها ، فقد تأخذ طابع السياحة الترفيهية، كما أنها قد تضم السياحة الرياضية أو الدينية أو الإستشفائية.

وتتميز هذه الأخيرة بميزة نسبية عالية في صحرائنا، لكلفتها المعدومة، و وفرتها وتنوعها، فهي تشمل الحمامات المعدنية الواسعة الانتشار في بلادنا ، إلى جانب توفرها على نشاط آخر هام، وهو عمليات "الردم" في الرمال كأحد الطرق العلاجية المنتشرة في كثير من بلدان العالم العربي، على غرار مصر والمغرب، والتي يرجع تاريخها إلى عهد الفراعنة.

---

[1]- عبد الله الزهراني، "السياحة والدخل القومي في العربي" http://www.eumra.net/html/home/news.php?newsid=259

وقد كان النشاط السياحي في مدينة بسكرة في العقود الماضية، يتوفر على عروض متنوعة، سمحت بتبوء هذه المدينة مرتبة هامة من بين المدن الجزائرية السياحية، فقد كان العلاج من خلال الردم في الرمال الحارة، فضلا عن العلاج من خلال الحمامات، عائدا هـ اما لأصحاب الفنادق الصغيرة، وأصحاب المتاجر التي تبيع السلع اليومية، فضلا عن دوره في ترويج وازدهار الصناعات التقليدية بمختلف أنواعها، وما يعنيه ذلك من ديمومة لبعض الحرف الآيلة للزوال، في ظل منافسة غير متكافئة مع السلع المستوردة التي امتدت حتى للمنتوجات التقليدية المحلية.

ونظرا للانعكاسات هذا النشاط على السياحة بولاية بسكرة، وعلى الأخص على مدينة بسكرة، آثرنا أن نجري تحقيق لمعرفة عوائد هذا النشاط قبل منعه، وسبل إعادة تنشيطه وإنعاشه، من خلال محاولة الوقوف على واقع هذه الطريقة العلاجية قبل حظرها، وما هي أسباب هذا الحظر ؟، وما هي الخطط والسبل المطروحة لإعادة تنشيطه من جديد، حسب بعض المسؤولين المباشرين، حتى ينعكس إيجابا بدوره على قطاع السياحة؟

اولا– الإطار المفاهيم للمداخلة:

من بين المفاهيم الهامة للدراسة مفهوم **السياحة**، والذي تحدده منظمة السياحة العالمية في تعريف يلخصه في "انتقال الأفراد من مكان إلى آخر لأهداف مختلفة و لفترة زمنية تزيد عن أربعة وعشرين 24ساعة، وتقل عن سنة".

وبناء على هذا التعريف فإن المعايير التي حددتها منظمة السياحة لتحديد هذا المفهوم تتمثل في **انتقال** الفرد خارج نطاق سكنه لمسافة تزيد عن خمسين ميل . وأن يكون ذلك مقرونا **بهدف** يكشف عن نوع السياحة المقصود **(**دينية، رياضية.....**)** وأن تزيد **المدة الزمنية** للإقامة عن 24ساعة، وتقل عن السنة[2].

وكما سبقت الإشارة فإن للسياحة عدة أنماط، وما ي همنا هنا ، في المقام الأول هو السياحة الصحراوية، والتي كانت، كما هو معلوم ، تنتشر في البلدان التي تتوافر لها مناطق صحراوية، مثل بلدان المغرب العربي، وبلدان الخليج، ومصر . وقد برز مفهوم السياحة الصحراوية بعد انتعاش القطاع السياحي للبلدان التي توجد فيها الصحراء في العقد الأخير من القرن الما ضي، و منذ ذلك الوقت أصبحت أحد ركائز الاقتصاد في هذه البلدان، والمنافس الأول لسياحة المدن العتيقة.

أما السياحة الإستشفائية Tourisme thérapeutique ، فهي تمثل أيضا نوعا بارزا من أنواع السياحة، تروج له العديد من المؤسسات[3]، ويمكن القول بأن السياحة في ميدان الصحة، تضم السياحة الإستشفائية والسياحة العلاجية Tourisme médical .

ويعتمد النوع الأول على العناصر الطبيعية في علاج المرضى و شفائهم، وتتنوع هذه العناصر الطبيعية إلى الينابيع المعدنية و الكبريتية والرمال والشمس، التي يقصدها السياح بهدف الاستشفاء من

---

[2]- أكرم عاطف رواشدة :**السياحة البيئية الأسس و المرتكزات** ,دار الراية,2009،عمان (الأردن)،ص،ص,19،20.

[3]- حسن أحمد شحاتة :**التلوث البيئي و إعاقة السياحة**،مكتبة الدار العربية ،2005,القاهرة (مصر)،ص48.

الأمراض الجلدية والروماتيزم[4]، ويتمثل المبدأ الأساسي في السياحة الإ ستشفائية في دمج الإنسان مع الطبيعة البكر [5].

أما السياحة العلاجية فهي تتعلق بالع لاج الحديث الذي يعتمد على المستشفيات، وهي تعني السفر للعلاج في المنتجعات الصحية، والمراكز الطبية المتخصصة ، وقد تطلق السيا حة العلاجية أحيانا على هذين النوعين من السياحة [6].

ويجدر بأن فوائد هذا النوع من السياحة لا تنحصر في المجال الاقتصادي فقط، فقد تتعدى إلى مجالات أخرى، فهي تعتبر سيا حة مستدامة Durable، لأنها تقوم على أساس توفر جو صحي، خال من التلوث بكافة أشكاله وصوره، وعلى أساس توافر المساحات الخضراء وأماكن الترفيه والاستجمام.

فضلا عن كونها لا تعمل على تبديد أو إستنزاف الموارد الطبيعية، فهي تستغل ما يخرج من مياه معدنية أو كبريتية ، ولا تستهلك الرمال المتوفرة، كما السياحة العلاجية قد تسهم في ازدهار الصحة، من خلال تشجيع الإستثمار في إقامة المستشفيات، وتوفير الكوادر الطبية المدربة للعمل داخل المراكز الطبية وبخاصة في مجال التمريض و العلاج الطبيعي، كما تعمل على توفير مستوى مقبول للإقامة بمختلف مستوياتها، مع تأكيدها على مستوى عالي من النظافة والهدوء[7].

كما أن لهذا النوع من السياحة فوائد اجتماعية فهي توفر فرص العمل، وتشجع قطاع الخدمات، فضلا على ازدهار المورد الثقافي، والمنتوج الحرفي.

أما فيما يخص العلاج بالرمل، أو طريقة الحمامات الرملية أو الرمال الحارة، فيصنفها البعض ضمن العلاج الشعبي والطب البديل، الذي يعتمد في أساسه على استخدام الموارد الطبيعية المتمثلة في الرمال الحارة الغنية بمجموعة من المعادن المفيدة للجسم، حيث يتم دفن جسم المريض في هذه الرمال ولا يترك منه إلا الرأس ، وذلك لمدة معينة وفقا لمجموعة خطوات يمليها المعالج الشعبي على المريض[8].

ولهذا النوع من ا لعلاج شهرة واسعة في علاج العديد من الأمراض الروماتزمية و آلام المفاصل[9]. والنقرس وفقرات الظهر ، وكذلك أمراض السمنة والكلسترول والأمراض الجلدية "الصدفية والبهاق" والكلى والجهاز التنفسي وقصور الشرايين ، وهو يفيد أيضا في التخلص من القلق والضغوط النفسية، ويساعد على تنشيط الدورة الدموية، ويعزى دوره العلاجي إلى:

1- وجود نسبة من المعادن الطينية مثل المونتموريللونايت الذي تتولد عنه شحنات سالبة عند تلامسه مع الماء حيث تجذب شحنات السموم الموجبة من طبقات الجلد الخارجية.

2- المحتوي البسيط من المعادن المشعة مثل المونازايت والثوريوم والتي تفيد في علاج الأمراض الجلدية والعظام علي وجه الخصوص.

---

[4]- أكرم عاطف رواشدة: مرجع سابق ،ص27.

[5]- طارق كمال :**السياحة و البيئة** ،مؤسسة شباب الجامعة ،2009،الإسكندرية (مصر) ،ص51.

[6]- http://lovely0smile.com/Msg-5253.html

[7]- نفس المرجع السابق ،ص56.

[8]- http://www.khayma.com

[9]- حسن أحمد شحاتة :مرجع سابق،ص66.

3- تركيزات بسيطة من العناصر الشحيحة مثل الاسترانشيوم والسلينيوم والكبريت وغيرها.

4- الأشعة الشمسية فوق البنفسجية والتي قد تساعد علي انطلاق بعض الشحنات السالبة من مكونات الرمال[10].

ثانيا- الإجراءات المنهجية للدراسة:

آثرنا في هذه الدراسة ذات الطابع الإستطلاعي إجراء تحقيق ميداني ، باعتماد الأسلوب الكيفي الذي يهدف للحصول على بيانات كيفية، تساعد على فهم الظاهرة المدروسة، والوقوف على ما سطر من أهداف لهذا التحقيق.

وبالطبع تم ذلك من خلال المقابلات التي أجريت مع ثلاثة مسؤ ولين مباشرين، لهم دراية بالظاهرة المدروسة، وقد تم اختيار المقابلة كأداة للبحث لكونها تمكن من الحصول على رؤية كلية، وتكوين موقف كلي عن الموضوع، فضلا عن الحصول على سيولة معلوماتية دقيقة، بفضل التفاعل المباشر مع مصدر البيانات.

وتتمثل مصادر هذه البيانات المباشرة في:

- مدير مصلحة الوقاية التابعة لمديرية الصحة والسكان لولاية بسكرة.
- رئيس مكتب التنمية والاستثمار بمصلحة الوقاية التابعة لمديرية الصحة والسكان ببسكرة.
- مسؤول بمديرية السياحة لولاية بسكرة.

ولقد تمت المقابلة مع هؤلا ء المسؤولين في شهر جانفي 2012، وقد تمحور الحوار حول ثلاث أسئلة، تتسق مع الإشكال البحثي المطروح:

تعلق السؤال الأول بواقع هذه الطريقة ال علاجية قبل الحظر، من حيث الإمكانيات، ومدى توفر المتطلبات، والأصول الجغرافية للمستعملين لها.

أما السؤال الثاني فتعلق بالدور السياحي لهذا الأسلوب العلاجي الإستشفائي.

وأخيرا تعلق السؤال الثالث بأسباب منع هذا النوع من النشاط، وما هي الإستيراتيجيات التي تسمح بتجاوز ذلك لكي يعاد إنعاش السياحة الإستشفائية في مدينة بسكرة.

ثالثا- عرض وتحليل نتائج المقابلات:

1- واقع ظاهرة العلاج بالرمال الحارة قبل صدور القرار الولائي بمنعها في بسكرة:

من خلال المقابلات التي أجريت مع هؤلاء المسؤولين، تبين بأن هذه الطريقة كانت منتشرة بكثرة قبل سنة 1999، بمنطقة الحاجب بولاية بسكرة ، غير أن العلاج بالرمال كان يمارس بطريقة عشوائية وفوضوية، فلم يكن مقننا، ولا منظما.

وقد اتفق المبحوثون على وجود عجز كبير في الفنادق والمراكز الصحية المؤهلة لهذا النوع من العلاج. أما من حيث أصول الوافدين فقد كانوا من خارج مدينة بسكرة والمناطق المجاورة والشمال

[10]- http://www.beralhara.com

وحتى من وهران وتلمسان ومستغانم، وكانت أعدادهم بالآلاف في الصيف في الفترة الممتدة ما بين شهر جويلية وأوت.

هذا، ولم يكن لهذا النوع من العلاج توصيات من الأطباء، حيث كان الناس يمارسونه من تلقاء أنفسهم، مدفوعين بما وصلهم من أخبار و تجارب شخصية، وكان أغلب هؤلاء غير متابعين طبيا، كما أنهم يجهلون إصاباتهم ببعض الأمراض كضغط الدم، والأمراض الجلدية، الروماتيزم، فكان لجهل الكثير منهم عواقبه الصحية

2- دور العلاج بالرمال الحارة في تنمية وإنعاش السياحة الصحراوية قبل صدور القرار الولائي بمنعه:

تبين من خلال إستجواب المسوؤلين بأن هذا العلاج التقليدي كان يجلب الآلاف من السيّاح إلى ولاية بسكرة، ولكنهم أجمعوا على عدم توفر إحصاءات معينة بسبب كون هذه الظاهرة عشوائية وغير مقننة، وبسبب عدم وجود هيئة تشرف عليها.

وحسب رأيهم فإن هذه الظاهرة ساهمت بشكل كبير في إنعاش السياحة الصحراوية ببسكرة خاصة في فترة الصيف، ومن مؤشرات ذلك ازدحام الفنادق واكتظاظها بالسياح المعالجين خاصة في فترة شهر جويلية وأوت في بسكرة، مع وجود نقص وعجز في الفنادق نجم عنه تدخلات عديدة لإيواء الوافدين خارج نطاق الفنادق.

3- أسباب منع هذا النشاط الإستشفائي:

تبين من خلال المقابلات **بأن** أعدادا كبيرة من السياح في بسكرة قد تفد بشكل غير منظم أو موجه، مما أدى إلى ضغوط على عمليات الإيواء، و عجز كبير في الفنادق ، التي اكتظت بهم، ولم تتسع لهم، مما أدى ببعض الأهالي إلى فتح منازلهم لاستقبال هؤلاء السياح الطالبين للعلاج، خاصة الذين لديهم صلة قرابة مع هؤلاء.

وقد سبقت الإشارة إلى توافد هذا العدد الكبير من الناس أدى إلى إنعاش اقتصاد الولاية ، فضلا عن تعريف الوافدين عليها بما تزخر به من ثروات ومناظر خلابة مثل: التمور، الواحات...الخ.

غير أنه من الناحية الصحية كانت ظاهرة العلاج بالرمال الحارة ضارة لأنها كانت تمارس بطريقة فوضوية وغير آمنة صحيا. وقد تعزز ذلك بسب جهل المعالجين بمخاطر هذا النوع من العلاجات ، فأدى ذلك إلى إصاباتهم، وبأعداد كبيرة، لضربات الشمس، والتسمم العقربي.

حيث وصل عدد الوفيات إلى 21 حالة وفات خلال 3 أيام في صيف 1999م بسبب ارتفاع درجة الحرارة غير العادية. وبعد هذه النتائج قامت الوزارة بإرسال إرسالية إلى السلطات المعنية تطلب منها النظر في الأمر، فجاء القرار الولائي رقم 913 المؤرخ في 1999/08/07، الذي يتضمن منع استعمال المناطق الرملية لغرض التداوي التقليدي على مستوى تراب الولاية.

4-الاستراتيجيات والمتطلبات لعودة ظاهرة العلاج بالرمال الحارة حتى تنعش السياحة الصحراوية ببسكرة:

بالنسبة لرأي المسؤولين لفكرة إعادة هذا النشاط العلاجي بولاية، اتضح من خلال المقابلة أن الفكرة موجودة، بل هناك إلحاج دائم على ضرورة تجسيدها، خاصة في المؤتمرات الوطنية والدولية وفي الندوات وفي الأيام الدراسية وحتى في اللقاءات مع الوزارات.

غير أن عودة هذا النشاط، كم يؤكد المسؤولون، يتطلب توفير أرضية تبدأ بتنظيمه وتقنينه، على غرار النشاط الحموي للحمامات المعدنية، مع ضرورة تعاون السلطات العليا ، أي وزارتي السياحة والصحة.

ومن بين الاستراتيجيات والمتطلبات لعودة ظاهرة العلاج بالرمال الحارة في بسكرة الآتي:

أ-من حيث الجانب السياحي لابد من:

- بناء فنادق ومراكز ومنتجعات تساهم في إحياء ظاهرة العلاج بالرمال الحارة لإنعاش السياحة الصحراوية.
- يجب توفير إطارات بشرية مختصة في هذا النوع من النشاط لتوجيه وإعلام وإرشاد السياح الوافدين إلى ولاية بسكرة للعلاج بالرمال الحارة، أي توفير مرشدين سياحيين متخصصين.
- يحب توفير وسائل النقل، والخدمات السياحية بالمنطقة.
- لا بد من القيام بتوعية عامة عن المنطقة، خاصة عن المخاطر الناجمة عن ارتفاع درجة الحرارة.

ب-أما من حيث الجانب الصحي:

- يحب أن يكون العلاج بالرمال الحارة تحت وصاية الأطباء، وبعد تبيان فوائده ومضاره.
- يجب تجهيز مراكز صحية تابعة للدولة لمراقبة ومتابعة هذا العلاج.
- يجب تخصيص لجنة ولائية مختصة في هذا المجال للمراقبة.
- لابد من توفير ملحقات طبية بعين المكان وتكون متواجدة دائما مثل : سيارات الإسعاف، والإطارات الطبية المدربة على هذا النوع من العلاجات.

لابد من توفير شروط السلامة للمعالج ، وذلك من خلال التشخيص القبلي لحالته الصحية قبل القيام بهذا العلاج.

الخاتمـة:

تبين من خلال هذه المداخلة التي سعت إلى معرفة واقع السياحة العلاجية بمدينة بسكرة قبل حظر أحد الطرق العلاجية التقليدية، إلى أن العلاج بالرمال الحارة كان مصدر نشاط سياحي هام بولاية بسكرة، خاصة بمدينة بسكرة، غير أن عشوائية هذا النشاط وعدم وجود تنظيم له، إضافة إلى مضاره وآثاره السلبية، أديا إلى حظره.

وعليه، فهناك دعوات لإعادة إحيائه، بشكل عقلاني ومنظم وآمن، حتى يسهم في انعاش وتنشيط السياحة بالمنطقة، وجعل هذا النوع من السياحات ينهض من جديد بالاقتصاد المحلي.

وقد إقترح المسؤولون إعادة النظر في هذه الطريقة العلاجية، مع الإلحاح على المطالبة بإعادتها من جديد، كما طالبوا بـالقيام بدراسات وأبحاث علمية متنوعة حتى يتسنى تقنين وتنظيم هذا الأسلوب العلاجي والنشاط السياحي، لما لهما دور فعال صحيا وسياحيا.

كما دعوا إلى إيجاد هيئة صحية ولائية تشرف على هذا النشاط، وتعمل على توفير ال موارد البشرية الطبية المدربة على هذا النوع من العلاجات وكذلك توفير الظروف السياحية ، والفنادق والمنتجعات التي تحقق الأمان للسائح القادم إلى ولاية بسكرة.